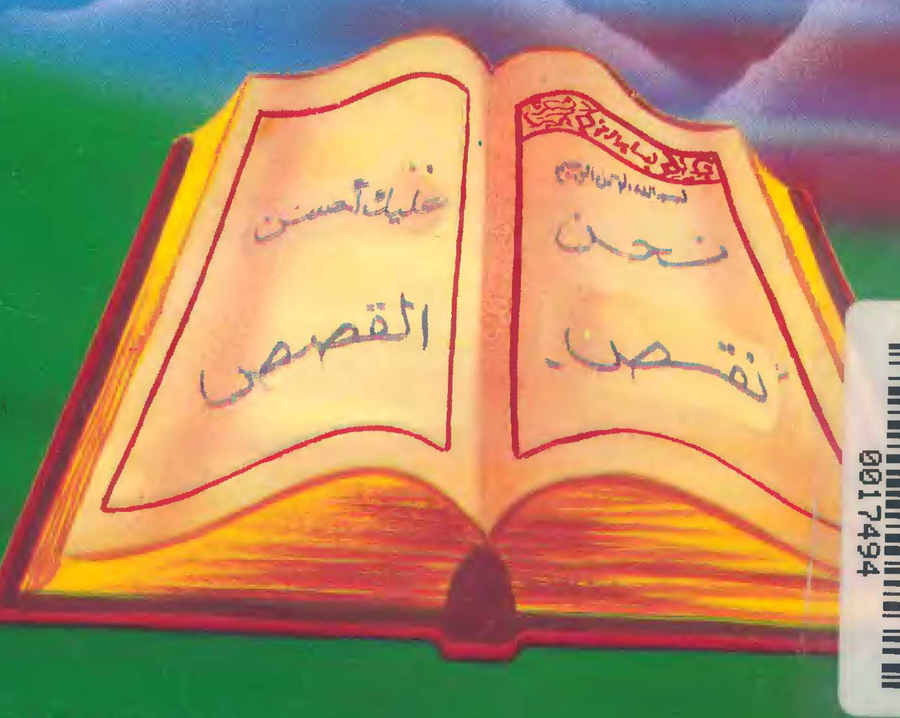
قصص القرآن

للأطفال

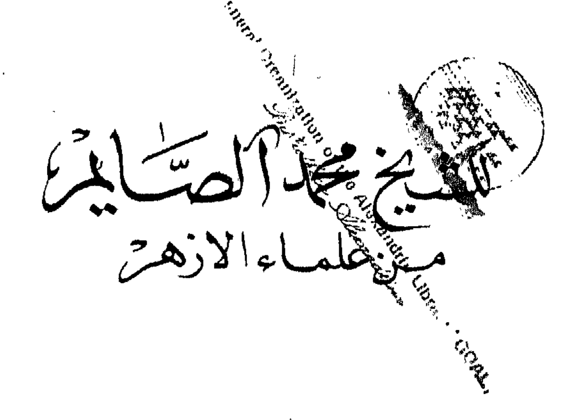


الشيخ / محمد الصايم

المكتبة التوفيقية

قصص القرآن

للأطفال



للشيخ محمد الصايم
من علماء الازهر

المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١]

● أبنائى الأعزاء

كل حديث - يا أبنائى - نبدأوه بحمـد الله ، والصلاة والسلام على رسول الله - سيدنا محمد وعلى آله وصحابته وسلم .

نحن - يا أبنائى - سوف نعـيش فى هذا الكتاب الذى ألفـته من أجلكم ، وأنا به وبكم سعيد ، لأنى أقدم لكم أحسن القصص - قصص القرآن الكريم . . الذى هو أصـدق القول . . لأن من خـلال قصصـه نتعلـم العقيـدة السليـمة - والتربية الصحيحة . . . نعيش مع الأحداث التى فيها كل الخير والحب والتى تملأ القلب نورًا ويقيناً .

أبنائى الأعزاء - أحـداث التاريخ ليـست لمجرد أن نحكيـها نتسـلى بها ثم ننساها . . ولكنها قـبل أن تكون تسلية فهى تربية للعقـول وللنفوس لما تحمله من عبر وعظات ودروس . . من حـياة أقوام سبـقونا كان فى حياتـهم عقابًا من الله وثوابًا حسب أحوالهم وحسب طاعتهم لله وإتباعهم سنن أنبياهئهم .

أبنائى - إن القلوب العامرة بالموعظة خيراً من القلوب التى تُملأُ بالسفاهات والخرافات والحكايات التى لا غـاية منها ولا هدف لها . . فتـعالى معى - نرجع إلى التـاريخ السابق نـعيش أحـداثه ونتعـلم من نتائجـه ، وبذلك نرقى بأنفـسنا ونسمـوا بأرواحنا . . مع قصص القـرآ=ن الكريم ، مع الأنبيـاء والمرسلين . مع كـتابنا هذا ومـا يحويه من عـبر الأولـين نعيش مع القـصص - مع هذا الجهـد

المتواضع الذى أقدمه لكم - أبـنائى الأعزاء - والذى أسأل الله - عز وجل - أن يتقـبله منى وأن ينفع به القراء وأن يأجـرنا إن أصبنا وأن يعفـو عنا إن زللنا . إنه سميع قريب مجيب الدعاء . . . ،

هذا وبالله التوفيق

محمـد أحمـد محمـد علـى
شهرته / محمد الصـايم

القاهرة - المعادى الجديدة
صقر قريش

● صراعٌ فوق الأرض

* أسرةٌ سَعيدةٌ :

نزل آدم وحــواء إلى الأرض - بعــد عصــيان آدم - وقــد تاب الله عليــه . ولكن الله أمره بالهــبوط إلى الأرض ثم إعمارها بالحــرث والزراعة . . عاش آدم وحواء يزرعان ويأكلان فى هناء وسرور . . وفجأة حملت « حواء » فأخبرت آدم بذلك فــسعــد جــداً أنه سوف يكون لــه أبناء قرة عين لهــمــا . .بهم يتم الأنس والبهجة والسرور .

ومرت الأيام ووضعت « حواء » ما فى بطنها وكان « توءم » ذكرُ وأنثى . . ولأنها أول مرة يرى فيهــا آدم وحواء « أبناء » فقد جلسا يتأملان فيــهما ويسعدان بهما . . ولأن هذه أول ولادة فسمــيا الذكر « قابيل » ولكن الأنثى لم نقف على إسمها . . ولكنها كانت جميلة جداً تحــمل صفات أمها « حواء » وتحمل قسمات البراءة والهدوء . . كان آدم يخرج من البــيت ليسعى ثم يعود فى أى وقت . . . ولكنه الآن أصبح يعــود سريعاً حبــاً فى الأسرة السعيــدة . . التى هى أول أسرة على وجه الأرض . . بــل هى الخلية الأولى التى ســوف تتكون منها البــشرية - مجتمعات وعمــران - . . . ومضت أيام وأيام . . وكبرت بطن حواء مرة أخرى . . إنه حملٌ جديد ونبأٌ سعيد . . وبدأ آدم يُعدَ الأيام لوضع حواء ويشملها بحبه ورعايته فقد أصبحت أم الأبناء . .

ومضت الأيام والشهور . . وآدم وحواء ينتظران على لهفٍ نزول الحمل الجديد . . ثم وضعت حواء « توءم » - أيضاً - كالمرة الأولى ذكرًا وأنثى فسميا الذكر « هابيل » ولكن الأنثى لم نعرف اسمها كانت جميلة ولكن ليست بدرجة الأخت الأولى - وكل شيءٍ يخلقه الله بحكمة وقدر

● كفاح الأب

وعمت الأسرة - سعادة غامرة - بـ « التوائم » الجديد وبدأت الأصوات تكثر فى البيت - إنها أول خليته ينتشر منها البشر . . وفى وسط هذه السعادة . . كان آدم يفكر كثيراً - لقد زادت أعباؤه وكبرت مسؤليته . . ولكنه يستعين بالله ويلتزم الصبر . . ويخرج مع شروق الشمس مكافحاً ويعود آخر النهار لأبنائه محملاً بما يشتهون من طعام وشراب .

كان « آدم » ينظر بأمل وينتظر الأيام ليكبر الأبناء الذكور ليشاركوه حياته الإقتصادية . . وبلغ قابيل مسعاه وبدأ يعمل مع أبيه آدم فى « الفلاحة » زراعة الأرض وأثمرت الأشجار وكثرت الخيرات وزاد الحب بين أفراد الأسرة - وذلك بأن بدأ « هابيل » يهتم هو الآخر بحياة والديه وإخواته فما أن بلغ مسعاه حتى أحب الاشتغال « بالمرعى » أغنام وأبقار ينتج عنها ألبان ولحوم - وزاد الخير

وسعدت الأسرة التى يرفرف عليها الرضاء . . كبرت الفتاتان وطغى عليهما جمال الأنوثة وازداد حب قابيل وهابيل للفتاتين ، ولكن هابيل كانت تميل إليه أخته « توءم » قابيل ، وهو يبادلها نفس الشعور وكانت كما ذكرنا أكثر جمالاً من أختها . . . أما الحب بينهما فتلك إرادة الله . . ليتزوج الأخ الأكبر من توءم أخيه الأصغر . . . ولكن هذا الوضع لم يسترح له « هابيل » وبدأت تأخذه الغّيرة على أخته توءمه يريدها لنفسه وهى ترفض .

● فرصة الشيطان

لم ينس « إبليس » اللعين لآدم - ما تفضل الله به عليه . . عندما أمره بالسجود لآدم . . وعندما إختاره الله خليفته فى الأرض . . وقد قام اللعين «إبليس» سابقًا بالوسوسة لأدم حتى أوقعه فى العصيان . . ولكن الله تاب عليه . . . وها هو الآن - لعنه الله - يتربص بآدم ويحوم حول الأسرة السعيدة ليجد أى فرصة ليدب بينها الحقد والخلاف .

أبنائى الأعزاء -- لقد جاءت الفرصة لإبليس بأن وسوس لقابيل ليشعل نار الحقد فى قلبه ويوهمه أن هابيل بل والأب آدم يكرهانه والدليل عدم النزول على رغبته ليتزوج من أخته توءمه . . . . ولكنه يعلم أنها تُحب هابيل . . . . واشتدت

العداوة بينهما . . واشتـد حب هابيل لأخت قابيل وهى تبادله الحب الذى زرعه الله فى قلبيهما .

كان آدم -عليـه السلام- ، يعيش مع أبنائه المشكلة ويحزن لمـا صارت إليه العلاقة بينهما . . . ويلعن إبليس ، الذى يريد خراب هذه الأسرة .

● آدم والتحكيم

فكر آدم كثيراً واستعان بالله – ووجد حلاً لهذه المشكلة . . واجتمع بالأسرة . . وطلب من قابيـل أن يقدم قرباناً ومن هابيل أن يقـدم قربانا . . ومن يتـقبل قربانه عند الله . . يفوز بهذه الفتاة . . . . كـان قابيل يعمل بالزراعة . . فأحضر خضرواته وقـمحه وغيره من المزروعـات ووضعها على حـافة الطريق . . . وقام هابيل وكان يعمل برعى الغنم بذبح بعض الشياة . . وقـدمها . . ثم باتا وأصبحا اليوم الثانى . . فوجد قابيل خضرواته قـد أصابها الذبل والجفاف . . فغضب أما هابيل فلم يجد شـيئا مما ذبحه حيـث أكلته الطيور والسباع . . فـفرح . . ولكنه خائف مـن غضب قابيـل . . وجاء آدم . . وقال لهـما : هذا حكم الله فـأنزلوا عليه أبنائى وأغلقوا باب الشيطان .

ثار وهاج قابيل قائلاً : كيف يتقبل من أخى ولم يتقبل منى . . فقال آدم : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ .

● إبليس يعود

أيقن قابيل أنه لن يفوز بالفتاة فقال فى نفسه إن هذه خسارة كبيرة . . وجاء إبليس مـرة ثانية ليـوسوس له : مـنْ الذى يقف فى وجه رغـبتك ويحـول دون سـعادتك أليس هـو هابيل ؟؟ ! إذن لماذا لا تتـخلص منه وبذلك تنتـهى المشكلة وتعيش مع فـتاتك سعـيدًا . . . وأختمـرت الفكرة الإبليسيـة فى رأس قابيل . . وبدأت مضايقـاته تزداد لأخيه هابيل وهابيل صابرًا على هذا الإيذاء مفـوضًا أمره إلى الله .

● الجريمة

بدأ قابيل يصـرح لأخيه أنه يريد أن يقـتله فكان رد هابيل : ﴿ **لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين** ﴾ . . فلمـا رأى أن قابيل مـصمم على جـريمته قـال له : ﴿ **إنى أريد أن تبـوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين** ﴾ .

بات قـابيل يفكر والشيطـان له يوسوس حـتى تحركت الجـريمة فى جمـيعُ جوارحه . . وأصبح وفى يده فأس واتجه إلى أخـيه يُناقشه فى نفس الأمر ويهدده بالقتل وهابيل صابر مـحتسب ، ثم هوى على رأسه بالفـأس فقتله . . علم آدم بالخبر فحزن حزنًا عميقًا . . وفوض أمره إلى الله . . ولعن الشيطان الرجيم .

● النادم الخاسر

وقف القاتل بجوار المقتول . . يأخذه العجب - إنها أول جريمة تقع على وجه الأرض - وندم قابيل على فعلته . . وأحتار فى أمر أخيه . . ماذا يصنع به . . وبينما هو يحملق هنا وهناك . . . إذ رأى غرابًا يمشى على الصحراء ويحمل غرابًا ميتًا . ثم يحفر فى التراب « أو الرمال » ويدفن الغرابُ الحى الغراب الميت . . . دُهش قابيل وندم على فعلته وحاول أن يقلد الغراب ﴿ **ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين** ﴾ ، إنه الندم على أبشع جريمة إنه الخُسران بارتكابها . . وفى النهاية علم الإنسان ماكان يدبره له الشيطان ، وقد جاءت هذه القصة فى القرآن الكريم :

يقول الله عز وجل : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ *وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ** ﴾ [المائدة : ٢٧ - ٣١]

● العَبدُ الَصالحُ يُعلمُ موسى

أبنائى الأعزاء - تعـالوا معى لنعـيش مع القصة الثانية من قـصص القرآن الكريم . . . وهذه القصة شيّقة جدًا لأنها مملوءة بأحداث كـثيرة وكبيرة بل ومفيدة

تعـالوا معى نتـعلم آداب طلب العلم . . وكـيف يكون المعلم مع التلمـيذ وماهى آداب طالب العلم تجاه مـعلمه ؟ . . كل هذا وكثير سـوف نعرفه من هذه القصة .

● موسى الواعظ

كان موسى - عليه السـلام - بليغًا متكلمًا قوى الحجـة سريع البديهة . . . وفى محفلٍ عام إمـتلأ ببنى إسرائيل من كل مكان يستمعون لنبـيهم موسى -عليه السلام - ويسألونه وهو يجيبهم . . . حتى إذا إنتهت الموعظة وأجاب موسى على كل الأسئلة - وقبل أن ينصرف توجه إليـه رجلٌ يسأله قائلا : ياموسى هل هناك من هو أعلم منك على وجه هذه الأرض ؟ - فكر موسى قليلاً . أليس هو كليم الله . . أليس هو صاحب المـعجزات من العـصا لليد البـيضـاء . . أليس الله قد نصره على فـرعون ؟ . . ثم أجاب السائل : أنا أعلم أهل الأرض قـاطبة . . . واستعـمل موسى « أنا » كما أن إجـابته ليس فيـها التواضع . . فعـاتبه الله -عز وجل -. . وأعلمـه أن هناك من هو أعلم منك . . . إنه رجل « عـبدُ صـالح »

مكانه عند مجمع البحرين ، وعليك أن تذهب لتتعلم منَه . . . وهنا أحس موسى الندم واستشعر أنه لم يكن مُصيبًا فى إجابته .

● الفتى والحوت

بدأ موسى – عليه السلام – الإعداد للرحلة . . وكان لديه غلام أمين هو « يوشع بن نون » فاستدعاه ليكون رفيقه فى السفر . . . ولكن موسى – عليه السلام – سأل الله أن يجعل له علامة أو دلالة لمعرفة مكان العبد الصالح . . . فدله الله على « حوت »[1] يوضع فى مكتل[2] وحيثما تفتقد الحوت يكون مكان الرجل الصالح وبدأت الرحلة، موسى ويوشع بن نون يقطعان الصحراء حتى بلغا مجمع البحرين . . وموسى ينظر هنا وهناك لعله يجد العبد الصالح . . وفى شدة الحر والتعب . . يقول : يوشع بن نون . . هل لنا ياسيدى أن نتوقف هنا . . ولكن موسى رفض مصممًا أنه لن يتوقف ولن يهدأ له بال حتى يحصل على غايته

ويبلغ موسى وفتاه « يوشع بن نون » بالقرب من الشاطئ حيث الهواء الرطب والأشجار ترفرف . . فأحس موسى بالتعب فأخذته سنةٌ من النوم . . أما الفتى فقد ذهب إلى ربوة لينظر من عليها يمينًا وشمالاً لعله يجد العبد الصالح

---

(١) سمكة كبيرة (٢) المكتل : المعطف

. . . وفى هذه الحالة تسلل الحوت من المعطف ونزل الماء ، واتخذ طريقه فى البحر سربًا ، وأفاق موسى من غفلته وقد استعاد نشاطه وطلب من الفتى مواصلة السير . . حتى إذا بلغ موسى مكاناً مرتفعاً - قال لفتاه - هيا بنا نجلس هنا لنستريح ونتناول الغداء . . وطلب من يوشع بن نون أن يفتح المعطف ليستخرج الطعام . . وهنا تذكر يوشع بن نون - أنه نسىَّ المعطف وبه السمكة عند الصخرة التى كنا عندها . . واستبشر موسى وقال له هيا بنا نرجع إلى الصخرة سريعًا فإن هذه هى علامة وجود الرجل الصالح . . . ورجعا سريعًا إلى المكان فلم يجدا الحوت . . وبينما موسى ينظر هنا وهناك ويبحث عن العبد الصالح . . وكذلك الفتى « يوشع بن نون » كانت المفاجأة .

● مرحبًا بالعبد الصالح

إن المفاجأة هى - يا أبنائى - رجلٌ على الصخرة مهيبُ المنظر يُشعُ وجههُ نورًا هادئ الحديث متواضع الشخصية - إنه العبد الصالح - فتقدم منه موسى وقال له : أأنت العبد الصالح ؟ قال : نعم يا موسى . . ولم يكن قد رأى موسى قبل ذلك ﴿ **فوجدا عبداً من عبادنا صالحاً أتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً** ﴾ . . جلس موسى مع العبد الصالح - متأملاً مفكراً . . ثم استأذن من العبد الصالح أن يُصاحبه ليتعلم منه .

نظر العبد الصالح إلى موسى «عليه السلام» بإشفاق وقال : ياولدى إن مصاحبتى أمر صعب فإنه تقع من الأمور مالايتقبله العقل البشرى. . . فكيف بك؟ . . ولكن موسى أبدى استعداده لكل ما يشترطه عليه المعلم « العبد الصالح» .

● شروط العبد الصالح

اشترط - يا أبنائى - المعلم وهو العبد الصالح على المتعلم وهو موسى -عليه السلام- شرطين :

أولهما: الصبر

ثانيهما : عدم الإكثار من الاستفسار .

وقبل موسى ذلك وقال له عن الشرط الأول : **﴿ ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً﴾** .

وجاء الشرط الثانى فى قوله تعالى :**﴿ قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما عُلمت رشداً . قال إنك لن تستطيع معى صبراً. وكيف تصبرُ على مالم تحط به خبرا . قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً. قال فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكراً﴾** . . وقبل موسى -عليه السلام- شروط العبد الصالح . . . وأحس العبد الصالح من موسى صدق نيته واستعداده وقوة همته .

●مع الرحلة

أبنائى الأعزاء – نعيش الآن مع هذه الرحلة العلمية الشيقة .. نعيش مع الأحداث وما نتج عنها من عبر وعظات ... نرى الآن العبد الصالح ينظر إلى سفينة فى عرض البحر وينادى على قائدها ليقترب ليركبا – ويهمس العبد الصالح فى أذن موسى .. سوف نعبر الشط الآخر ... وبدأ فى تهيئة موسى لما سيلاقيه بأن يعلمه أن علم الله ليس له حدود وأنه فوق كل ذى علمٍ عليم وأن هذا الكون به من الأسرار مالا أعرفه أنا ولا أنت ولايعلم كامل غيبه إلا الله .. وأن مثل علمى وعلمك ياموسى كطائر شرب من هذا البحر العظيم فلا ينقصه شيئاً.. ثم جاءت السفينة وركبا المعلم والمتعلم فى تواضع وخشوع

●الموعظة الأولى

اقتربت السفينة من الشاطئ – وموسى –عليه السلام– والعبد الصالح يتحدثان عن نعم الله وقدرته ... وقبل أن ترسو السفينة . وإذ بالعبد الصالح يُمسك بقدوم ويضرب فى جنب السفينة حتى خرقها – خرقاً يُعيبها ولايُغرقها ... وأندهش موسى وأخذه العجب ولم يتمالك نفسه قائلاً ماذا فعلت؟ إنهم قومٌ أكرمونا وأوصلونا ولم يأخذا منا أجراً أفيكون هذا جزاؤهم ؟! .

قال العبد الصالح : ياموسى ألم أعاهدك أن تصبر أم لا؟ . . فاعتذر موسى -عليه السلام- وقال: لا تؤاخذنى إنى نسيت وستجدنى إن شاء الله صابراً وأرجو قبول عذرى . . . فسامحه العبد الصالح وواصلا المسير . . . .

●الموعظة الثانية

إتجه العبد الصالح يرافقه «موسى» إلى قرية ساحلية. . وقبل أن يدخلا القرية. . نظر العبد الصالح إلي مجموعة من الأولاد يلعبون ويمرحون فى فرح وسرور. . فتقدم منهم وأمسك بغلام من وسطهم ووضع يده حول عنق الغلام وضغط ضغطه قوية زهقت فيها روح الطفل ومات. . . والأولاد ينظرون فى دهشة لما حدث لقرينهم . . والأشد دهشة موسى -عليه السلام- الذى لم يتمالك نفسه وقال للعبد الصالح « أتقتل نفساً بدون ذنب؟!» وهنا نظر العبد الصالح إلى موسى فى عتاب وهو يقول له : أين العهد الذى بينى وبينك ياموسى؟ أنت لن تستطيع أن تصبر على مقدرات العلم الإلهى . . فتأسف موسى للعبد الصالح مرة ثانية وهو يقول له : لقد بلغت أكبر الاعتذار فأرجو أن تسامحنى وسوف لا أسألك عن شيء بعد ذلك . . تبسم العبد الصالح وسامح موسى . . واستمرا فى السير.

● الموعظة الثالثة

يمشى الآن العبد الصالح فى هدوء ، وبجواره موسى يسير وقد كتم ما بداخله من تعجب وشوق لأن يعرف أسباب كل ما يجرى على يد هذا العبد الصالح. . وسارا إلى قرية وهناك سأل العبد الصالح أهلها أن يعطوهما طعاماً لأن الجوع قد أشتد عليهما. . ولكن أهل القرية رفضوا أن يعطوهما طعاماً أو شراباً - إنهم بخلاء - فتوجها سيراً فى طريق طويل حتى وجدا بستاناً - فقال العبد الصالح هنا بجوار هذا البستان سنستريح وجلسا - وفجأة قام العبد الصالح إلى جدار مهدوم وأمر موسى أن يُناوله الأحجار وبدأ يبنى الجدار إلى أن تم البناء . . فتعجب موسى ولم يتمالك نفسه قائلا: إنك بنيت الجدار ولو شئت لأتخذت عليه أجراً. . وهنا قال العبد الصالح : ياموسى إنك عجزت عن الصبر على ما رأيت. . والآن أُعلن لك أن هذا فراق بينى وبينك وسوف أشرح لك ما حدث والذى لم تستطيع عليه صبراً .

● الحكمة الإلهية

هنا - يا أبنائى - بدأ العبد الصالح يُفسر لموسى -عليه السلام- ما حدث فقال:

أولا: السفينة كانت ملكاً لمساكين يعملون عليها ويتقوتون منها . . ، ولكن ملك هذه البلاد أصدر أوامره بأن يأخذ كل سفينة صالحة جميلة من أهلها غصباً . . فخرقتها لأعيبها حتى تبقى للمساكين ولا يستولى عليها الملك .

ثانيا: أما الغلام فكان ابناً لأبوين مؤمنين صالحين . . ولكن هذا الغلام كان منتظراً منه مستقبلاً أن يكون كافراً فاجرًا يرهق الأبوين وبه يشقيان فأراد الله -عز وجل- له الموت حتى يعوضهما ولداً آخر صالحاً - وهذه حكمه الله ياموسى .

ثالثا: أما الجدار ياموسى . . فكان ملكاً لأخوين يتيمين مات أبوهما - وكان صالحاً - منذ فترة وتحت هذا الجدار المتهدم كنز للغلامين فلو ترك هكذا لأخذه الناس منهما . . فأراد الله للكنز الحفظ حتى يبلغ الغلامان أشدهما ويستخرجا الكنز

وأعلن العبد الصالح لموسى -عليه السلام- . . هنا ياموسى نفترق ، ولكن قبل ذلك أقول لك : إن كل ما فعلته إنما هو بأمر من الله عز وجل . . وليس من عند نفسى . . ومضى العبد الصالح فى طريقه ورجع موسى الى حيث كان . . وقد استفاد علمًا كثيراً بل وتواضعاً .

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه القصة كاملة يقول الله -عز وجل- : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ

آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) [الكهف : ٦٠ –٨٢]

● فتيةُ الكهف

أبنائى الأعزاء - تعالوا معى لنعيش مع قصة أهل الكهف وما فيها من عبر وعظات .... وهى وإن كانت - أى القصة - فى عهد قديم إلا أن القرآن الكريم ذكرها لتكون عبرة يُقاس عليها أحداث التاريخ لأن هناك من الأحداث التاريخية ماوقعت بعدها وأبان لنا الله فيها - أيضاً - انتصار الحق على الباطل.

● صِراعٌ بَيْنَ الإيمان والكُفر

تتميز هذه القصة التى بين أيدينا بنتائجها العظيمة لأنها صراع بين الحق والباطل .. ففى مدينة قديمة كان يحكمها ملك فاسد العقيدة فاسد الخُلق تحيط به حاشية النفاق والضلال حتى فسد المجتمع كله وانتشرت عبادة الأوثان وفسدت النساء وأصبح الفجور ظاهرة عامة وترعرع الشيطان يرتع هنا وهناك.. إلا أن مجموعة من الشباب «فتية» كانوا سبعة أو ثمانية لايعلم عددهم إلا الله.. كان هؤلاء الشباب أهل إيمان وتقوى.. أخذتهم الغيّرة على الدين ورفضوا هذا الفساد وما رأوه من إنحلال وتمسكوا بالشجاعة لأنهم أصحاب حق.. وواجهوا الملك الفاسد وأعوانه ، ومن هنا بدأ الصراع إنه صراع بين الإيمان والكفر - صراع بين الحق والباطل .

● المواجهة

راح الشباب يعلنون للناس رأيهم فى شجاعة. . ووصل بهم الأمر إلى أن أبلغوا الملك بفساد عقديته ودعوه إلى عبادة الله الواحد القهار. . وأبلغوه أنه سيموت وأن هناك بعث ونشور ، ولكن الملك المغرور لم تعجبه هذه الدعوة وهاج وصال وجال ووقفت حاشيته تسانده فى فساده . . وبدأ هذا الحاكم يضيق الخناق على «الفتية المؤمنة» بما لديهم من سلطان وقوة فى العدد والمال . . أيقن الملك أن هذه الدعوة لو انتشرت سوف تسحق ملكه . . فاجتمع بحاشيته وقرر الخلاص من هؤلاء الشباب .

● الفرار إلى الله

أحس الفتية بتدبير المكيدة فعزموا أمرهم على الفرار بدينهم. . واتجهوا صوب كهف فى قلب الصحراء وأسرع كلبهم الذى كان يرافقهم وراءهم ودخلوا الكهف. . ومع أن الكهف قريب من البلدة التى يعيشون فيها إلا أنه مهجور لايوحى لأى ناظر بأن داخله أحد أو حتى يسكنه أحد . . . والمعروف أن الكهف يكون موحشاً ومأوى للحيوانات والثعابين وغيرها . . ولكن سبحان الله . ما أن دخلوا الكهف حتى شعروا بالهدوء والأمن . فجلسوا ليستريحوا وليدبروا أمرهم. أما الكلب فقد جلس بالباب وكأنه الحارس الأمين . . هدأت نفوس الفتية داخل

الكهف وعـمتـهم الرحمـة ونزلت عليـهم من الله السكينة . . واعلمـوا يا أبنائى الأعزاء - أن توجههم للكهف إنما كان بإلهام من الله لأن الله ولى المتقين

غابـت الشمس . وانخـفضت الأصـوات وبدأ النعاس يدُب فى رءوسـهم فاستعاذوا بالله وناموا مترامين أما الكلب فقد فخ ذراعيه بالوصيد[1]

وماهى إلا لحظات وكان الكل فى نوم عميق

● اطمئنان المؤمنين

ياسـبحـان الله . . إن المكان الموحش نهـاراً الذى هو مخـيف ليلاً أصـبح لأصحـاب الكهف آمنا وأمـاناً حوله الله العلى القـدير إلى نعمـة وسكينة . . لأن المؤمن عندما ينام يُسلم أمره لله الذى بيده مقاليد السموات والأرض . . أما الكافر فهو جبان يخاف من كل شىء لايعرف الهدوء والراحة .

لقد أنعـم الله على أصحاب الكهـف بأن جعلهم فى فـجوة منه **﴿وهم فى فجوة منه﴾** أى مسـتقـبل للباب حـتى يمر عليهم شـعاع الشـمس حتى لاتفـسد أجـسادهم ، وفى نفس الوقت لايضـرهم **﴿تزاور عن كـهفهم ذات الـيمن وإذا غربت تقرضـهم ذات الشمال﴾** ، وبذلك منحـهم الله السكينة بالنـوم والرحمـة

(١) مدخل الكهف (الباب)

بهدوء الكهف والحفظ بتزاور الشمس عليهم . . فهم يتقلبون مع حركتها . . إنها العناية الإلهية .

● بعث من رُقاد

مرت الأيام والسنون على أهل الكهف . . وطالت شعـورهم وأعينهم ثابتة كأنهم فى يقظة **﴿وتحسبهم أيقاظ وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾** سبحـان مغير الأحوال . . وفجـأة وبعد السنين الطويلة التى تغيرت فيـها أحوال مدينتهم بل تغيرت معالم التاريخ ومعاملات الناس. . . وفجأة وبأمر الله استيقظوا من نومهم . . وهم يـتساءلون مع بعـضهم كم يومًا كنا نـائمين؟ فيقـول البعض : يومًـا أو بعض يوم. . ويقـول آخر : بل يومين أو ثلاثـة. . ولكنهم نظروا إلى لحاهم وشعور رءوسهم التى طالت وتعجبوا من أمر أنفسهم وأمر كلبهم .

● إكتشاف أمرهم

كان أول ما فكر فيه هؤلاء الفتية هو كـيف يسدوا رمقهم فقد أخذهم الجوع . . فقالوا : قبل أن نفكر فى أى شىء أو مـاذا سنفعل ؟ نرسل أحدنا إلى المدينة ليحضـر لنا طعامًا . . ثم أوصـوا رسولهم أن يكون متلثمًـا – أى مخفيـاً وجهه– حتى لايعرفه أحـد لأنه لو عُرِف فسوف يقبض عليه الملك وأعـوانه فإما أن يقتلوا

وإما أن يكفروا . . وتوجـه أحدهم يحمل نقوداً من العهـود السابقة وهو لايدرى أن الحكم تغير وأنه أتى سلطان مكان سلطان وهكذا . . .

ودخل المدينة فتعجب إن المدينة لم تكن هكذا إذن ما الذى حدث؟! البيوت غير البيوت والناس غـير الناس والمحلات ليست هي . . ورأى أن الناس ينظرون إليه بعجب فـمنظره غير مألوف، وأهل المدينة يعرفـون بعضهم وهو فى وسطهم كأنه غريب . . واندهش كثيراً لما رآه من عمران ومن بضائع لم يكن قد رآها . .

ثم تذكر مـا جاء من أجله . . فـقدم بعض النقود إلى البـائع ليشـترى منه طعامًـا . . وإذ بالبائع يصـيح يالها من نقـود أثرية مضى عليهـا سنوات وسنوات والتف الناس حول الرجل يتـعجبون من منظره ومن النقود التى مـعه . . وسألوه هل عثرت على كنز من العصور السابقة؟ . . فلما رأى منهم ذلك فرّ هاربا راجعًا إلى رفاقـه فاتبع بعض الناس أثره وسـعوا وراءه . . والبعض قـام بإخبـار الحاكم الذى أرسل بعض الجنود للقبض عليه وعلى رفاقه .

● الوعد الحق

وصل الرجل إلى رفاقه بالكهف مزعوراً خائفاً وحكى لهم ما حدث له . . فـتسـاءلوا فيـمـا بينهم ماذا نصنـع؟ وما هو الحل؟ يبـدوا أننا أخـذنا النوم سنيناً

طويلة. . وفوضوا أمرهم إلى بارئهم فأنزل الله عليهم سكينتـه وغشيهم برحمته- وقبل أن يصل إليـهم الناس وجُند الملك - كانوا قد تحـقق فيهم وعـد الله وماتوا جميـعاً . . واصبحت سيـرة هؤلاء الفتية - يا أبنائى - درسـاً وموعظة فى البعث والنشور ، إنها قدرة العلى القدير

وقد وردت قـصة أهـل الكهف فى القرآن الكريم وشـرفهم الله بأن جـعل باسمهم سورة فى المصحف . . يقـول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ⑨ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ⑩ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ⑪ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ⑫ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ⑬ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ⑭ هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ⑮ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ⑯ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ⑰ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا

وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦)﴾ صدق الله العظيم [سورة الكهف : ٩ - ٢٦] .

● (الملك الصالح)

ذو القرنين

أبنائى الأعزاء - كان فيما مضى من القرون ملك آتاه الله الحكمه وعلمه تأويل الأحاديث وأفاض عليه بالعدل والصلاح ومكن له فى البلاد وفى قلوب العباد . . حتى نجح فى تشييد العمران وزراعة الأرض ونشر العدل بين الناس، إنه «ذو القرنين» .

كان « ذو القرنين» يحب الترحال - السفر من هنا إلى هناك يجوب الأرض ينشر فيها الصلاح ويقيم العدل بين الناس . . وذات مرة كان معه جنده إتجه ناحية بلاد المغرب باحثاً عن ما فى هذه البلاد؟ لديه استطلاع أن يعرف ما عليه الناس؟ حتى بلغ حدود المحيط الأطلسى . . الذى يعتقد الناس أن الشمس هناك تغيب - أى تغرب- وعند مغرب الشمس توقف بجيشه حيث لاطريق أمامه سوى الظلمات والطين اللازب والغابات الموحشة.

نورٌ وعدل

وفجأة وجد «ذو القرنين» أقواماً قد أحاطوا به أشكالهم مختلفة منهم الأسمر ومنهم الأبيض ومنهم الأصفر وأحجامهم متباينة فمنهم الطويل ومنهم

القصير حتى لغاتهم فإنها غير مفهومة . . انتظر ذو القرنين قليلاً ليتأمل أحوالهم - فاتضح له - يا أبنائى الأعزاء - أن هؤلاء القوم منهم المؤمنون ومنهم الكافرون - تعجب «ذو القرنين» من حالهم . . وعَرَّفَهم بنفسه وقصده فى الإصلاح فى الأرض وأفهمهم مهمة الإنسان الذى هو خليفة الله فى الأرض وقال لهم إن الصالحين فى الدنيا يحميهم الله وفى الآخرة لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار - أما المفسدون فإنهم أهل الضلال فى الدنيا ثم يردون إلى ربهم ليدخلهم جهنم وبئس المصير.

رأى « ذو القرنين» استجابةمن الغالبية فيهم فأعلن لهم دستوره الذى كان لهم نوراً وعدلاً - لقد استمعوا اليه وعملوا بما فيه فأصلح الله أحوالهم وأغدق عليهم نعمه وعمت السعادة مجتمعهم - كل هذا - يا أبنائى الأعزاء - بالحب والصدق لا بالسيف ولا بالقهر .

وبذلك التف الناس حول الملك الصالح لأنهم أحبوه لعدله وشجاعته وأخلاصه . . فوجدوا عنده الأمن والأمان . . حيث منْ عمل بالدستور يجد أن للمجتهد أجره والصالح يأخذ طريقة للنجاح . . ،وأن الظالم يُضرب على يديه بالحديد . . وأن المظلوم يؤخذ له حقه من الظالم .

فتح مبين

انتهى « ذو القرنين » من رحلتـه بل من مهمته تجـاه المغرب وأقام هناك بين الناس الإيمان والعدل . . أصبح «ذو القرنين» معه جـيش قوى . فعقد النيه على مواصلة المسير أخذاً بالأسباب . . وبدأ المسير يطوى الأيام والليالى ويمرعلى بلدان وعشائر يدعوهم للإيمان ويقيم بينهم العدل . . واتجه الملك الصالح بجيشه صوب المشرق حتى بلغ أقـصى القارة الأفريقية - والتى ظلت تسـمى بالقارة المظلمة إلى وقت قـريب- هناك وجد أناسـاً تطلع عليـهم الشـمس مبـاشرة بدون سـاتر . . فدعاهم للإيمان بالله وأفهـمهم مبادئ دستوره - فأسـعدوا بدعوته التى تحمل لهم ركائز الأمن والاسـتقـرار . . هكذا كانت رحلات «ذو الـقرنين» فى الأرض نوراً وعدلاً .

رحلةُ العودة

رأى « ذو القرنين» أن مهمتـه فى بلاد المشرق والمغرب قد انتهت . . وآن له أن يعود بجيشه إلى قاعدة ملكه ومقـر حكمه «بلاد اليمن» . . كان القائد مسروراً فى رحلة العودة بما أنجزه من انتـصارات حامداً الله متواضـعًا غير مغرور مـعترفًا بفضل الله عليـه . . وأثناء سيره ترامت إليـه أخبار بلاد مظلومـة . ولم يكن قد

وصل اليمن . . فسمع هذه الأخبار وحزن لأن هناك بلاداً تقع تحت طائلة الظلم . . هذه البلاد هى « بين السدين» إنها بلاد تتعرض للغزو من قوم غرباء يشنون حملات متقطعة عليهم يؤرقون بها حياتهم ويعبثون بمقدراتهم ويتركون فيهم الفوضى والظلم . . وكانت هذه البلاد تقع فى أواسط القارة الآسيوية . . قرر «الملك» الصالح أن يتوجه بالجيش لإنقاذ هؤلاء الناس فوصل إليهم ووجد أن شعوب «يأجوج ومأجوج» الفاسدون والمفسدون يتسللون فى كل يوم من سرداب تحت الجبل ثم يُغيروا على «بلاد بين السدين» فيحدثون بهم الفتن والقلاقل .

● انتصار جديد

أبنائى الأعزاء - كان الناس فى بلاد مابين السدين - لأول مرة يرون «ذو القرنين» وجيشه فظنوا أنهم مثل قوم «يأجوج ومأجوج» ففروا منهم إلى سفح الجبل . فنادى عليهم «ذو القنين» وطمأنهم وأوضح لهم مهمته . . فحضروا إليه والتفوا حوله وقالوا له : أيها الملك الصالح نرجوا أن تقيم بيننا وبين هؤلاء القوم المفسدون سداً يحمينا من غاراتهم . . فأجابهم بأنه يستطيع صنع ذلك بقوة الله . . وبما تفضل عليه من مدد وعلم . . ولكن القوم خافوا من كثرة التكاليف وأجور العاملين مع الملك الصالح . . فقال لهم : لاتخافوا إن أجرى عند ربى . .

بناء السد

فرح القوم بموافقة الملك الصالح على بناء السد . . نظر إليهم وقال لهم : إجمعوا شتات - أى قطع- الحديد المتناثرة فى الصحراء . . فجمعوها ثم وضع هذا الحديد فى الممر أو السرداب الذى كان ينفذ منه قوم يأجوج ومأجوج . . ثم أشعل النار واستعان بهؤلاء البسطاء فى مساعدته لإكمال البناء فجعلوا ينفخوا فى النار حتى انصهر الحديد ثم صب عليه كميات من النحاس . . فتساوى هو والجبلين الذى كان بينهما الخرق النافذ . . ثم أفرغ على الحديد والنحاس الماء فجمد وصار قطعة واحدة مساوية للجبلين قوية لايستطيع أحد أن يثقبه أو ينفذ أى شيء منه - وبذلك تمت المهمة - ووقف الجميع أمام هذا العمل العظيم يشكرون ربهم . . أما «ذو القرنين» فقد إزداد تواضعاً وشكر لله -عز وجل- . . لأن العظماء - يا أبنائى - إنما يتواضعون لله ويسعون فى خدمة عباد الله .

ثم واصل «ذو القرنين» رحلة العودة إلى بلاده باليمن وكله سعادة وفرح وسرور ، وهكذا يكون أهل الصلاح . . يقول الله عزل وجل فى قصة هذا الصالح : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ

نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ صدق الله العظيم

[سورة الكهف : ٨٣ - ٩٨].

● (قَارُون البَاغِى)

قارون - رجل من بنى إسرائيل تربطه بموسى -عليه السلام- صلة قرابة وكان العصر يحكمه فرعون الطاغية كان لفرعون تلاميذ فى العناد والكفر يستبدون بالضعفاء ويستذلون الناس. . . وكان قارون أحد أعوان فرعون يعيش فى قرية باسمه فى منطقة «الفيوم» وهناك ولازالت بحيرة باسمه حتى الآن يتذكر الناس فيها العبرة والموعظة. . كان لدى قارون من المال والجاه ما جعله يعيش فى غرور . . وبما أن «موسى -عليه السلام-» أرسله الله لتخليص بنى إسرائيل من السُخرة واستعباد فرعون لهم. . فإن قارون كان من نوعية فرعون. . وقد آتاه الله من الكنوز ما تحمل مفاتيحها الجمال . وقد أغتر بذلك . . حتى أنه رفض أن يعترف بفضل الله وقال: إنما أوتيته على علمٍ من عندى. . وكان يجلس فى قصره ويدعى أنه يرزق الناس وأن الله فضله عليهم .

● الشكر والكفر

أبنائى الأعزاء - إن المال قد يكون نعمة وقد يكون نقمة . . فالعبد الصالح يرزقه الله ليبتليه فى دنياه فيقول كما قال سليمان -عليه السلام- عندما آتاه الله الملك **﴿رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل**

صالحًا ترضاه﴾[1] . . أما الإنسـان الشرير فـإن المال يطغيـه ويدفعه للبـغى على الناس كما كان قارون .

البلاغ المبين

كان «قارون» كما ذكرنا يمتلك من خـزائن الذهب والفضة واللؤلؤ ما جعله ينسى الآخرة بل وينسى الضعفـاء والفقراء . . وكان ينام مخموراً ويستـيقظ فرحًا مسرورًا . . وليتـه سكت عند هذا الحد بل كان يفتخـر على الناس ويتحداهم أن يكون لديهم ربع أو بعض مـا عنده ،ويلبس ثيابًا من حريـر ويخرج فى زينة مع حاشيته يركب بارجة تجرها الخيول ويطوف المدينة طالبًا من الناس أن يعظموه .

علم موسي -عليه السلام- بكل ما عليه «قارون» فأرسل إليه بعض الحكماء يعظونه وليـبلغونه أوامـر الله . . ولكن قارون كـان بهم مسـتهزءاً ومن دعـوتهم ساخراً . . والله -عز وجل- يقول له ولأمثاله : **﴿ وابتغ فيما أتاك الله الدارالآخرة ولاتنسي نصـيبك من الدنيـا وأحسـن كمـا أحسن الله إليك ولاتبـغى الفسـاد فى الأرض إن الله لايحب المفسـدين﴾** . . . إن قـارون لم يكن للآخـرة فى حيـاته نصيب . . ولم يُحسـن إلى محتاج ولم يرق قـلبه لضعيف . . ولم يسـتمع إلى نصح موسى ولـم يعمل بإرشـاده بل أغمض عينيه وصم أذنيه وسـخر من موسى ودعوته .

---

(١) النمل : ١٩

● الفاجر يتحدَّى

ركب - قارون - رأسه وتحدى الحكماء وتحدى موسى -عليه السلام - وخرج على قومه فى زينته متعجبًا مفتخرًا يتألق وحوله حاشية النفاق والخدم والعبيد يدقون له الدفوف والغانيات الراقصات من حوله وهو فى لهو وغرور إبليس اللعين وأعوانه يزينون له سوء عمله . . وفى المقابل كان موسى -عليه السلام- والعلماء والحكماء يحذرون الناس من غرور «قارون» ويفندون لهم حجته الباطلة . . ففهم كثير من الناس . . وعاش البعض فى خداع مع المغرور وحاشيته.

● النهاية المؤلمة

أبنائى الأعزاء -وكما هى نهاية كل ظالم- أن يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر . . وأمام مشهد من الناس حيث يقف قارون وحاشيته متغطرسًا . . أصدر الله -عز وجل- أمره للأرض التى بدأت تهتز شيئاً فشيئاً تحت أقدام قارون وخزائنه ثم أبتلعته فى مشهد عجيب وذابت خزائنه فى باطن الأرض. وأعوانه يتساقطون أمام أعين الناس . . والمؤمنون يهللون ويكبرون بانتصار الله . . أما المنافقون المخدوعون فاصفرت وجوههم وطأطأوا رءوسهم لخيبة أملهم وهكذا كانت نهاية هذا الظالم الفاجر انتقامًا وعبرة لغيره ﴿إنه لايفلح الكافرون﴾ .

وتعالـوا معى - أبنائى الأعـزاء - لنرى ماذا يقـول القرآن الكريم فى قـصة قارون : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ صدق الله العظيم [سورة القصص ٧٦ ٨٣]

● (سُليمَانُ وبِلقَيسُ)

أبنائى الأعزاء - تعالوا معى لنعيش مع نبى من أنبياء الله . وهو نبى وملك إنه «سليمان -عليه السلام-» الذى طلب من ربه أن يمنحه ملكًا لايعطيه لأحد بعده فقال : ﴿ **رب هب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب**﴾[1] فأعطاه الله ملكًا عظيمًا شمل الجن والأنس وسخر له الرياح وأخضع له الطيور والوحوش وعلمه منطق الطير وآتاه الحكمة والعدل وعلمه مالم يكن يعلم وسأل ربه أن يزيده فى العلم قائلاً ﴿**وقل رب زدنى علما**﴾ فزاده الله علمًا بأن جعله يسمع الصوت البعيد يأتيه وهو فى مكانه . . وكان سليمان -عليه السلام- شاكرًا لله ﴿ **رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدىّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين**﴾[2] . وكان سليمان -عليه السلام- قوى الإيمان متواضع الشخصية يرجع كل هذه العظمات لقدرة الله -عز وجل- . ويشكره على ما تفضل به عليه ويعلم أن هذه الدنيا إنما هى دار ابتلاء . . ﴿ **هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم**﴾ .

وسوف ترون - أبنائى - الآن بعض المعجزات التى منحها الله للنبى الملك سليمان -عليه السلام- .

---

(١) ص : ٣٥ (٢) : النمل : ١٩

● وادى النمل

خرج سليمان – عليه السلام– ذات يوم ومعه جيشه القوى الجرار. . وبينما يسير متجهًا إلى كبد الصحراء حيث منطقة النمل – وادى النمل– سمع سليمان -عليه السلام– «نملة» رئيسة النمل تقول لهم : أسرعوا فى سيركم فإنى أرى سليمان وجنده قادمين – حتى لا يطأونكم بأقدامهم وهم لايشعرون . . تبسم سليمان وضحك من قول النملة . وحمد الله وشكره على هذه النعمة . . أن جعله يسمع صوت النمل ويعرف لغته . . وأمر الجيش أن يتوقف حتى يعبر النمل طريقهم

● مع الهُدهُد

أبنائى –. تسمعون كثيراً عن قصة الهدهد مع سليمان– ولنعرف الآن قبل الحديث عنه . . ماهى مهمته فى جيش سليمان -عليه السلام– ؟! . . كان لكل طائر أو حيوان أو إنسان مهمه مع سليمان . . وكان الهدهد هو المسئول عن معرفة الأماكن التى بها «ماء» حتى يشرب الجيش ويتوضئون للصلاة. . فقد منح الله الهدهد نعمة أن ينظر إلى الأرض فيعرف هل هنا ماء أم لا .

سار سليمان -عليه السلام– بجيشه الجرار حتى نزل بمكان بالقرب من

الحبشة .. وبدأ يطمـئن على رعيته ، وفى أثناء تفقده للطـير - لم يجد الهدهد .. ولأن الهدهد له مهمة عظيمة فى الجيش - غضب سليمان بل وتوعد الهدهد بالعذاب أو الذبح ﴿**مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابًا شديدًا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين**﴾ . وأصبحت الفرصة الـوحيدة أمام الهدهد لينجو أن يأتى لسليمان بعذر مقبول صادق .

● مُلْكٌ وَملكَةٌ

وفجأة جاء الهدهد .. الذى حلق فى الفضـاء من مقر جيش سليمان حتى دخل اليمن «سبأ» ورجع ومعه النبأ العظيم .. يقـول لسليمان : لقد رأيت عجبًا . وجدت امـرأة ملكة لها عرش عظيم ويحـيط بها حكماء ولها جـيش قوى .. ولكنها وقومهـا يعبدون الشمس ويسجدون لهـا من دون الله .. تعجب سليمان من قول الهدهد .. وأراد أن يختبر صدقـه .. فأعد له رسالة وكلفه بحملها إلى الملكة.. حتى يأتيه الرد .

● الرسالة

لاشك أن سليمان عليه السلام - حـزن لهذا الوضع - أن قوماً أعطاهم الله

هذه النعم العظيمة ويعيشون فى هذا الجهل بل فى هذا الكفر.. وكتب عليه السلام رسالة وكلف الهدهد بحملها إلى الملكة ﴿إذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون﴾.. وكانت الرسالة رقيقة مهذبة - ذهب بها الهدهد وألقاها على عرش بلقيس ملكة سبأ التى أمسكت بها وكان مضمونها: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم* ألا تعلو علىّ وأتونى مسلمين﴾.

● مَلكةٌ مؤدَبةٌ

كانت «بلقيس» ملكة سبأ على قدر من العلم والخلق الرفيع .. وذلك أنها لما وصلتها رسالة سليمان التى حملها لها الهدهد .. طلبت من المسئول لديها أن يبلغ الوزراء والحكماء باجتماع سريع .. وجلست على عرشها وعرضت الرسالة على قومها قائلة ﴿يا أيها الملأ إنى ألقى الىّ كتاب كريم إنه من سليمان إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم* ألا تعلو علىّ وأتونى مسلمين﴾. فلما سمع رجالها ما قرأته عليهم صمتوا مفوضين الأمر لها .. ولكنها عادت تقول لهم فى هدوء وأدب ﴿ يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ماكنت قاطعة أمراً حتى تشهدون﴾ .. فيردون إليها الأمر مرة أخرى لأنهم أمام أمر محير ولكنهم يبدون استعدادهم بقوتهم لتنفيذ ما تراه الملكة ﴿نحن وأولوا قوة وأولوا بأسٍ شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين﴾ .

الهديةُ مرفوضة

فكرت الملكة قليلاً ثم قالت لقومها : إن علمى وخبرتى تجعلنى أفكر فى تقديم هدية لهذا الملك العظيم سليمان . . لأن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها واستذلوا أهلها . ونحن الآن علينا أن نتصرف وبسرعة قبل أن يأتينا سليمان وجنده

وأرسلت الملكة هدايا عظيمة جمال محمله بالذهب والفضة وتحف وتماثيل وملابس . كل هذا إلى سليمان . . لقد أخطأت التفكير هذه الملكة. . لأن سليمان ليس بملك فقط ولكنه ملك نبى صاحب رسالة من الله ليبلغها للبشر وماكان له أن يأخذ رشوة فى دين الله .

وصلت الهدايا إلى سليمان -عليه السلام- فغضب وثار وأعلن أنه لايقبل الهدية وليس هو من أهل الرشوة إنما هو صاحب رسالة وقال: ﴿ **أتمدوننى بمال فما آتانى الله خيراً مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون**﴾ . . ثم أعطى لرسول الملكة رسالة سريعة وخطيرة . . ﴿**إرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون**﴾ .

وجاءت بلقيس

كان سليمان - عليه السلام - يجلس كل يوم فى الضحى وحوله رجاله

يستمعون لعلمه ويسألونه فى أمورهم . . فلما كانت قضية « ملكة سبأ» قرر سليمان -عليه السلام- إحضار عرشها قبل أن تأتى هى وعرض الأمر على من حوله، وكان ذلك فى المجلس فتطوع «عفريت من الجن قائلاً : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك وكان مجلس سليمان يستغرق ساعة تقريبًا. . ولكن رجلاً من جلساء سليمان على درجة كبيرة من العلم قال : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك . وماهى إلا لحظة وكان عرش بلقيس أمام سليمان -عليه السلام- .

كانت «بلقيس» بعد أن ردت إليها هديتها خرجت فى موكبها العظيم متجهة ومعها كثير من الجُند إلى سليمان . . وكان بعد خروجها إحضار عرشها ولذلك أمر سليمان أن ينكروا لها العرش فلما حضرت قال لها سليمان : أهذا عرشك؟ نظرت فى دهشة ثم تأملته وهى تقول : كأنه هو. . إنما قالت ذلك لأنها لا تتوقع أن يكون لسليمان قدرة على إحضار عرشها بهذه السرعة وبهذه الطريقة . . ولكن لأنها كافرة لم تفكر أن كل هذا بقدرة الله العلى القدير .

● الاعتراف بالحق

استقبل سليمان -عليه السلام- الملكة بلقيس فى مجلسه ثم نهض مرحبًا بها يصطحبها إلى داخل القصر وتوجه الجميع إلى القصر . وعند باب القصر قدم

سليمان بلقيس احتراماً لتدخل أمامه وإذا بها تكشف عن ساقيها. ظنًا منها أنها تخوض ماءً . . لأن القصر مصنوع من زجاج وإنعكاس صور الأعمدة والأشياء جعلها تظن أنه بحر به أمواج - فأفهمها سليمان -عليه السلام- أنه قصر من قوارير صنعته الجن . . هنا أقرت بلقيس بعظمة النعمة التى وهبها الله لسليمان وخرت ساجدة وهى تقول :﴿ **رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**﴾ .

وقد وردت قصة سليمان وبلقيس فى القرآن الكريم . يقول الله -عز وجل- : ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا**

عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴾ صدق الله العظيم [سورة النمل : ٢٠ - ٤٤] .

● (سفينة نوح)

أبنائى الأعزاء - مع قصة جديدة من قصص القرآن الكريم نعيش - مع سفينة نوح -عليه السلام- . كان نوح نبيًا صالحًا يحمل دعوة الله إلى عباد الله وظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين . . يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام . يدعوهم إلى التمسك بالفضائل وترك الرذائل . . ولكنهم أبوا أن يطيعوه . . بل استهزءوا بدعوته واستكبرا عليه وحقوا أمره . . ومع كل ذلك ظل يدعوهم ليلاً ونهاراً ولكن بدون فائدة ، فشكى أمره إلى الله : ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً (٧)**﴾(١)

● (صناعةُ السفينة)

لقد استنفذ نوح -عليه السلام- جميع الأساليب مع قومه ، وشكا أمره إلى ربه ، فأمره الله عز وجل أن يصنع سفينة ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ**﴾ .(٢). وبدأ نوح -عليه السلام- فى صناعة

---

(١) نوح : (٥ ، ٧)

(٢) هود : (٣٧) .

السفينة فأحضر ألواح الخشب والمسامير، ويمر عليه القوم الكافرون وهم يسخرون منه ويسألونه أين ستعوم هذه السفينة يانوح؟! حتى أنهم إتهموه بالجنون﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [1].

ويذكر لنا - يا أبنائى - بعض العلماء : أنَّه استجاب الله له أمره، أن يغرس شجراً ليعمل منه السفينة ، فغرسه وأنتظره مائة سنة ، ثم نجره فى مائة أخرى وقيل فى أربعين سنة .. والله أعلم .. كانت سفينة نوح طويلة عريضة لتحمل الكثير .. وقد تم صُنعها بدقة وبعناية إلاهية - فإن الله كان يلهمه كيف يصنعها حتى تكون فى الحجم والإتقان المطلوب .

(ماذا فى السفينة ؟)

لم يختر نوح -عليه السلام - يا أبنائى - ما تحمله السفينة ولكن الله أعلمه بكل شىء ، أمره بأن يحمل فى السفينة عندما يصدر إليه الأمر .. منْ آمن معه ، ثم من كل زوجين اثنين .. من الطيور ومن الحيوانات ومن النباتات ، ومن كل شىء ، وذلك لحكمة إلهية وليكون ذلك بداية المجتمع الجديد بعد انتهاء الطوفان .

---

(١) هود : ٣٨ .

(وجاء الأمر)

واكتملت السفينة وأصبحت جاهزة ، وأوصى الله -عز وجل- إلى نوح ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [1] وجاء أمر الله - وخرج الماء من التنور[2] . ونزل الماء من السماء ، والتقى الماء على أمر قد قدره الله العلى القدير . وبدأت السفينة تتحرك ، ووضع نوح فيها ما أمره الله ، وركب المؤمنون أهل نوح إلا من سبق عليه القول - أي الكافرون - ودعا نوح ربه ﴿ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾[3] .

وزاد الماء وأصبح الأمر خطير . . ونوح -عليه السلام- ينادى ابنه - يابنى أركب معنا - ولكنه الابن العاق الكافر الذى حاول التحدى لأمر الله - فقال : سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء . . رد نوح : لاعاصم اليوم من أمر الله . . وعلت الأمواج وأنجى الله المؤمنين وسارت السفينة وغرق الكافرون . . إنه عذابهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب أليم .

مجتمع جديد

وارتفعت السفينة على سطح الماء وسارت بعناية الله ،وحمد الله نوح أن نجاه وأهله وأغرق القوم الظالمين ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً

---

(١) هود : (٣٦ ، ٣٧)   (٢) التنور : الفرن الذى نضع فيه العيش .

(٣) نوح : ٦ .

مُبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾[1].

وغرق أهل الكفر وأراد الله أن يؤسس مجتمعًا جديدًا على التقوى فقال الله -عز وجل- : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

وابتلعت الأرض ماءها وأوقفت السماء مطرها وانتهت الرحلة بأمن وسلام وتمت إرادة الله ونزل نوح على الأرض بسلام هو ومنْ معه ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]

وبدأت الحياة من جديد على أساسين من الإيمان والتقوى .

أبنائى الأعزاء - كانت هذه قصة سفينة نوح -عليه السلام - التى لم نعرف أين هى الآن؟ وهل تآكلت من عوامل الزمان أم هى فى مكان لانعرفه؟! الله اعلم.

وقد وردت قصة السفينة فى أكثر من سورة من سور القرآن الكريم . . ولكن الله شرف نوحًا وسفينته بأن جعل سورة فى القرآن باسم نوح . . وذكر الله نوحًا والسفينة فى سورة هود : ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا

---

(١) المؤمنون : (٢٨ ، ٢٩)

(٢) هود : ٤٤ (٣) هود : ٤٨

تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨)﴾ [هود : ٣٦-٤٨].

● (أصحابُ القرية)

أبنائى الأعـزاء - إن الظلم لايـعرف زمـانـاً بعـينه ولا مكاناً. بحـدوده . . فالتـاريخ به الكثيـر من قصص الظالمين وآثارهم السـيئة . . ومـاذا فعل الله بهم؟ والنهايـة الأليمة التى وصلو إلـيها- وقـد وردت فى سورة «يَس» قـصة أهل هذه القرية - التى كانت تموج بالفساد ويعمها الظلم ولامكان فيها لراشد أو ناصح . . يحكمهم ملك طاغـية فاجر . . يسـتهوى عقولهم ويـستخف بفكرهـم فيـعبدون الأصنام كـما هو يعـبد ويفـسدون كمـا هو يفـسد ، فهـو قائدهم إلـى الخراب وزعيمهم إلى الهلاك .

● التاجر والقرية

فى قرية من القـرى تُسمى «انطاكية» كان يعـيش الناس فى جهل وظلام . . يعبدون الأوثان ولا يعرفون القيم والأخلاق . . يسـخرون من فقيرهم ويستهزءون بكل ما هـو فضيلة . . يحـكمهم ملك جـاهل متغطرس اسـتحـوذ على قلوبهم فقادهم إلى نهايتهم المؤلمة .

كان فى القـرية«رجل» آتاه الله رشده وهدى قلبـه يُسمى «حبـيب» وكان له دكان يبـيع ويشترى فيـه . أخذ حبيب الغـيظ مما رأى من الملك وأهل القرية من

فساد وإفساد - ولكن مـاذا يفعل؟! إنه رجل واحد - وكلما نصح أحدًا من أهل القرية سرًا ودعاه إلى عباده الله وحده - سخر منه وحذره من دعوته هذه .

الفرار إلى الله

بدأ - حـبيب المؤمن- أمـام تفشى الظلم والجـهر بالسـوء أن يُعلن نصـحه وبأعلى صوت يقدم رشده - ولكنهم رفضوا دعـوته وبدأ الملك يأمر بمضايقته فى كل مكان. . فوجد نفـسه فى خطر وأنهم يرفضون دعوته تمامًـا . . ففكر قليلاً ثم هداه الله . . أن يفر بدينه .فذهب إلى الصحراء وهناك دخل كـهفًا وجلس يتعبد فيه - وإذا خرج لشأنه عاد لكهفـه مرة أخرى - ولكنه حزين فقد ترك دكانه ولم يعد يعمل ، ولكن يسأل الله أن يجعل له مخرجًا.

رسولان كريمان

وفى يوم من الأيام وكـان أهل «انطاكيـة» فى السوق ، وإذا برجلين يقـفان عند باب السـوق ويدعوان الناس إلى عبـادة الله وحده وإلى التـمسك بالفـضائل وترك الرذائل. . فتعجب الناس منهما وقالوا: إنها نفس دعوة «حبيب النجار» . . وبعد دهشة سألهما الناس من أنتما؟

قالا : ﴿ إنا إليكم مرسلون﴾ ؟

قالوا: ﴿ ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾

قالا: ﴿ قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون* وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ . .

وهاج الناس منهما وعلم الملك بهذا الخبر فقال: أمثل دعوة «حبيب» يدعون؟ وحدثت مواجهة بين الملك وحاشيته ورسُل الله انتصر فيها الرُسل

قيل إن الرسل كانوا اثنين «صادق» و«مصدوق» وأن الله عززهما بثالث هو «شالوم» .

والبعض يقول أن الثالث هو «حبيب النجار» الذى أنضم لهما بأمر من الله .

علم «حبيب» بأمر الرسولين «صادق و«مصدوق» فنزل الى القرية مسرعًا فرآه الناس . وانضم للرسولين وأصبح الأمر على الملك وأتباعه بل على أهل القرية كلها أمرًا خطيرًا . . وانتشرت الدعوة ، وخاف الملك . . وبدأ يفكر فى كيفية الانتقام من الرُسل الثلاث «حبيب» ، و«صادق» ، «ومصدوق» .

التهديد والخطر

وأمام هذا الخطر صدرت من الملك أوامره بتضييق الخناق على هؤلاء الرسل: ﴿ قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم﴾ . .

فأعرض الرسل عن التهديد والوعيد وقالوا : **﴿ قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون﴾** . . وأشتدت المواجهة بين الطرفين . . ورجع الناس مرة أخرى لحبيب النجار . . ما رأيك؟

﴿قال ياقوم اتبعوا المرسلين﴾ . . لأنهم جاؤكم بالصدق وبالحق المبين . . ولكنهم لم يقتنعوا بإرشاد حبيب وسخروا منه ، بل وهددوه وتوعدوه بالعذاب الأليم إذا لم ينضم لهم فى مواجهة هؤلاء الرسل فقال لهم : **﴿ ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون ءأتخذ من دونه آلهة﴾** فأحدقوا عليه الأمر . فقال لهم : إنى أخاف الله الذى يملك الضُر والنفع وأنى لن أكفر بربى مهما فعلتم بى . . وقالها صريحة : **﴿ إنى آمنت بربكم فاسمعون﴾** فالتفوا حوله واتهموه أنه مصدرالشر لهم . وأنه لولاه لما آتاهم هؤلاء الرُسل ففوض «حبيب» أمره إلى الله . . وماهى إلا لحظات حتى انهالوا عليه ضربًا حتى مات شهيدًا **﴿قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين﴾** .

أهل الندامة

استمر هؤلاء فى طريقهم وفى غيهم ولم يتبعوا نصح «حبيب» ولا رسالة «صادق» و «مصدوق» . . بل سجدوا للأصنام وقتلوا الأنبياء . فباءوا بالخسران فى الدنيا والندامة فى الآخرة **﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جندٍ من السماء وماكنا منزلين﴾** لقد أخذهم الله بذنبوهم ولم يمهلهم بل أخذهم أخذ عزيز مقتدر

عقابًا لهم وردعًا لغيرهم ولتظل سيـرتهم عبر التاريخ لمنْ أراد أن يعتبر ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذاهم خامدون* ياحسرةً على العباد ما يأتينهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون﴾ .

يقول الله -عز وجل- فى أهل القرية الظالمة ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾﴾

[سورة يس : ١٣-٣٠].

● (عُزيرٌ والبعث)

اليهود - أصحاب جدال ومراء . . وقد أمتن الله عليهم بكثير من الخيرات ولكنهم رفضوا الشكر بل طلبوا من نبيهم موسى الكثير والمزيد فأعطاهم الله وأسبغ عليهم من نعمة ظاهرة وباطنة . . وأنجاهم من الغرق وكتب لهم مع موسى - عليه السلام - النصر على فرعون وقومه فغرقوا . . ومع ذلك كله آلوا إلى الإشراك بالله ﴿ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [1]. ولما تركهم للموعد الذى أعطاه الله له - رجع موسى من الجبل فوجدهم غلبوا على أمر هارون -عليه السلام- وقادهم إبليس وصنعوا عجلاً يعبدونه . .

بنوا إسرائيل هذه هى طريقهم ، حتى إذا حدثت معجزة إلهية لعبد صالح هو «عزير» إذا بهم ينسبونه إلى الله ويقولون إنه ابن الله . . كما نسب النصارى عيسى بن مريم - عليه السلام- لله فقالوا : إنه ابن الله ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[2]

● مَنْ هو العزيرٌ

«عزير» رجل عادى من بنى إسرائيل ، ولكنه كان متدينًا . صادقاً فى قوله

(١) الأعراف : ١٣٨ (٢) مريم : ٣٥.

وفعله . آتاه الله الحكمة فى تصرفاته فيرجع إليه الناس فيقدم لهم النصح والوعظ من أسفار التوراة التي حفظها وهو صغير . . كان «عزير» متواضعًا يُحكِمه الناس فى منازعاتهم . . وكـان يعمل فى «حديقـة» بها الكثير من خـيرات الله - عنب ونخل وتين وزيتون - ولأن «عزير» رجل مخلص فكانت الحـديقة جميلة هادئة - فكان اذا انتهى من كده وتعبه استراح تحت أشـجارها مُفكراً متعبداً . . كانت هذه طريقة عزير كل يوم - ثم يعود إلى منزله حامداً الله وشاكره.

● العزير وحقيقة البعث

فى يوم من الأيام . . كان "عزير" خـارجاً من منزله راكبًا حمـاره . معه بعض طعامه . متجـهًا نحو الحديقة التى يقوم بحراستها والعـمل فيها . . وفجأة توقف «عـزير» عند مكان خـرب هو آثار لقـرية هلكت ومـات أهلها من قـرون . . فنظر إلى بقايا حُطامها وعظام أهلهـا التى تحولت إلى فتات هش . . ثم قال: **﴿أنى يحيى هذه الله بعد موتها﴾** ؟! - إن عزير رجل مؤمن بالله مؤمن بالبعث . . ولكنه تساءل طالباً من ربه أن يطمئن قلبه.

كما حدث من إبراهيم -عليه السلام- عندما سأل ربه **﴿رب أرنى كيف تحى الموتى؟ قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى﴾** .

● الدرس العملى

فلمـا قال «عـزير» ذلك - أراد الله - يا أبنائى الأعـزاء - أن يعطيه درسًـا عمليـاً حقيقـيًا فى البعث - فأمـاته هو وحماره ، ومات العـزير - ومرت الأيام والشهور والسنـون - وبعد مائة عام . أراد الله أن يحيـيه . . فبعـثه . . وقال له ﴿**كم لبثت**﴾؟ فتلفت عزير حوله ثم قال : ﴿**لبثت يومًا أو بعض يوم**﴾.

فقال الله له ﴿**بل لبثت مائة عام**﴾ - تعجب العزيـر وقال : يابحان الله - إنها لقـدرتك وأنت العزير الحكيم . . فـزاده الله اطمئنانًا فـقال له : ﴿**فانظر إلى طعامك وشـرابك لـم يتسنه**﴾ - هذا طعـامك وشرابك ياعـزير مرت عليـه الأيام والشهـور ولم يتغـير . . حمـد الله «عزير» وشكره . . وبعـد أن هدأ قال : أين حمـارى إذن الذى كُنت أركبه فرآه عظـامًا تتجمع شـيئاً فـشيئاً ثم نهض الحـمار واقفاً . فقال الله له : ﴿ **وانظر إلى حمارك ولـنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير**﴾ .

●عزيرٌ يعود إلى قريته

عاد «عزير» يا أبنائى - إلى قريته فلم يعرفه أحد - إنها مائة عام- بل خاف الناس منه وكذبه بعضهم وهو يقول « أنا عزير بن جردة» حتى وصل إلى دار أبيه

وهو متشكك أهو أم لا - فدق الباب ردت عليه امرأة عجوز عمياء

قالت : منْ ؟

قال لها : أهذا بيت عزير؟ . . فبكت العجوز وقالت : نعم إنه بيت عزير الذى نسيه الناس ولم يذكر أحد اسمه منذ سنين . . ثم قالت: ماذا تريد؟

قال : أنا عزير . . قالت : ياهذا لا تهزأ بنا . . قال : إن الله أماتنى مائة عام ثم بعثنى والله على كل شىء قدير . . فتحت العجوز العمياء الدار وقالت له: إن كنت صادقًا فإن عزيراً كان رجلاً صالحًا مستجاب الدعوة فادعُ الله أن يرد علىّ بصرى . وبذلك أراك وأعرفك . . فتوجه عزيراً إلى الله ودعاه فارتد إليها بصرها فرأت «عزيرا» وفرحت به . . وصاحت فى الناس هذا ولدى «عزير» والناس يضحكون منها سخرية واستهزاءاً . . ويقولون : إنها تهزى لكبر سنها فهى عجوز . . فتقول لهم : ألم أكن أنا العجوز العمياء المقعدة . . وها أنا ببركة دعاء «عزير» مبصرة ماشية - ويتعجب الناس . وهنا جاء رجل شيخ إنه ابن العزير . . فقال : إن والدى كان به علامة سوداء بين كتفيه وقام ووضع يده بين كتفى «عزير» فوجد العلامة . . وهنا صدقه الناس وتذكروا التاريخ الماضى والأحداث التى كانوا يعيشونها . . وإن كان بعض بنى اسرائيل افتروا الكذب على الله ﴿**وقالت اليهود عزير ابن الله**﴾ . . ولكن الله رد على كذبهم بقوله سبحانه ﴿**ولنجعلك آية للناس**﴾ .

وقد وردت قصة «عزير» فى القرآن الكريم بقول الله عز وجل :

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة البقرة : ٢٥٩].

● (أصحاب الفيل)

أبنائى الأعـزاء - هذه قـصة أخـرى - تروى صـراع الحق والباطل صـراع الإيمان والكفر . . كانت بلاد اليمن يحكمها ملك جبار « اسمه أبرهة» وكان على دين أبائه نصرنيا متعصباً فظاً غليظًا لونه أسـود ضنم الجسد كان بشفتيه قطعٌ ولذا سُمى بأبرهة الأشـرم - وكان حـبشيًـا وكان أهل اليمن من النـصارى يدينون له بالولاء الأعمى ، فقد غرس فيهم التعصب للمسيحية .

أما عرب اليمن فكانوا يدينون لمكة حيث البيت الحرام هناك يحجون إليه كل عام ويشدون الرحال ذهابًا وإيابًا سعداء بذلك .

● الملك الأحمق

وذات يوم سأل « أبرهة» حـاشيتـه ماهذا البيت الذى يحج اليـه العرب من بلدان اليمن؟ وما سر انجذابهم إليه؟!

قال له من حوله :أنه بيت فى مكة متواضع البناء لافن فيه ولازخرفة - بناه جدهم إسماعيل مع أبيه إبراهيم - وهم يلتمسون فيه البركة ويطفون حوله سعداء . . فأخذ الغـيظ الملك «أبرهة» وجلس يفكر كيف يصرف عـرب اليمن عن هذا البيت . ويجعل ولاءهـم له وحده . . ثم جمع رجاله وأمرهم ببنـاء كنيسة على

طراز فنى رائع ذات زخارف وقباب حتى يطلب من العرب أن يطوفوا حولها ويستغنوا بها عن الكعبة. . إنه ملك غبى أحمق . .

وتم - يا أبنائى - بناء الكنيسة ولكن العرب لم يهتموا بها ولم يطوفوا حولها بل سخروا منها . . ولم يعكفوا عن الذهاب إلى مكة.

أشتد غيظ «أبرهة» وأقسم ليهدمن بيت العرب ويجعله تراباً ولا يبقى لهم بيت مقدس إلا هذه الكنيسة - ووسوس له الشيطان وأعانه أعوانه بأنه فى هدم الكعبة مغنماً كبيراً له - فسوف ينال بهذا العمل احترام الجميع وتصبح له السيادة على بلاد العرب ويزداد دخله المالى .

● الغزاة فى الطريق

أعد أبرهة جيشًا كثيراً جراراً ، وأعد له أقوى الأسلحة ، وأعد له عددا من الغذاء يكفى لشهور وجعل فى مقدمة الجيش «فيلاً عظيماً » ضخما لم تعرف العرب مثله من قبل . . وكان أبرهة «يقول : لأجعلن الفيل يرفع أحجار الكعبة لتتطاير فى الصحراء. .

وتقدم الجيش صوب مكة يقطع الطريق ليلاً ونهاراً . . وعلمت بعض قبائل العرب بخروج أبرهة قاصداً مكة لهدم الكعبة. . فأخذتهم الغيرة على بيت الأباء

والأجداد فتصدوا له ولكنهم فشلوا ورجـعوا مهزومين أمام جيش أبرهة . . وهذا زاد غرور الملك الأحمق وتصميمه على هدم الكعبة .

● البيت له ربٌ يحميه

وهكذا- أبنائى الأعـزاء - وصل أبرهة بجـيـشه وفـيله إلى ضـواحى مكة وعسكر خارجها . . وكان عبـد المطلب جد النبى ﷺ قد أمر أهل مكة أن يتركوا بيوتهم ويسكنوا الشعـاب بالجبال ويتركوا مكة لأبرهة وجيشـه - كان هذا التفكير من عبد المطلب إيمانًا منه أن الله سيحمى بيته الحرام - الكعبة المشرفة - .

وفى الطريق وجد « أبرهة» إبلا كـثيرة ترعى فى الصحـراء . . فأمر جنوده بالاستيلاء عليها . . كانت هذه الإبل - يا أبنائى - ملكا لسيد العرب عبد المطلب وما أن علم عبد المطلب بذلك حتى توجـه إلى أبرهة وأستأذن فى الدخول عليه «خيـمته» فرحب بـه «أبرهة» وظن أنه أتى ليسلم له الكعبـة ليهدمـها . . ولكن عبـدالمطلب قال لأبرهة : أريـد إبلى أيها الملك . . فـضحك «أبرهة» وقـال: لقد خاب ظنى فيك جئت تسأل عن الإبل ولا تسأل عن الكعبة بيت أبائك وأجدادك؟

فرد عليه عبد المطلب سـاخراً منه وقال : ياهذا إن الإبل إبلى أما البيت فله رب يحميه .

● الطير الأبابيل

تقدم الملك الأحمق بجيشه الجرار وجنوده التى تحمل السهام والدروع يتقدمهم الفيل الضخم صاحب الخرطوم والأنياب . . ليفزع العرب ويخوفهم فيتركون له مكة. ولكنه لم يجد أحد فأخذه السرور لأنه سيهدم الكعبة فوراً ويحقق حلمه .

فجأة رفض الفيل أن يتقدم خطوة واحدة فضربه سائقه ولكن الفيل رفض أن يتقدم تجاه الكعبة – فضربه مرة ومرة حتى تعب الفيل ورقد فى الأرض . . وبعد أن استراح أمره سائقه أن يتجه نحو الكعبة فرفض . . فأمره أن يتجه نحو اليمن فأسرع الخطى . . إنه أمر عجيب مُحير . . فأشار بعض رجال «أبرهة» عليه أن يرجع بالجيش وأنه لافائدة من هذه المحاولات . . ولكن «أبرهة» ثار وسب وشتم فى الكعبة والعرب كلهم . . وأقسم ليهدمن الكعبة ولينتقمن من العرب . .

وكانت إرادة الله . . بأن صدر الأمر الإلهى لطير من جهنم «هو الطير الأبابيل» يحمل بين رجليه حبات فى حجم الحمصة ويحلق فوق رءوس الجنود ويلقى بالحبة فتخترق رأس الفارس وفرسه حتى يصير كأنه عظم محروق – وتفشى مرض الطاعون فى بقية الجيش لكثرة جثث القتلى وقد خاب من أفترى . .

وقد جاء ذكر قصة أهل الفيل فى سورة باسمهم فى القرآن الكريم – يقول الحق سبحانه : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)** ﴾ [الفيل : ١ – ٥]

(بقرة بنى إسرائيل)

أبنائى الأعـزاء - مع قصـة من قـصص القـرآن الكريم التى وردت فى بنى إسرائيل فى سورة البقرة - والسورة مع أنها شـملت العقائد والعبادات والمعاملات - إلا أنها سميت بالبقرة - وذلك لأن قصة الـبقرة تجيب على أكثر تساؤل بشرى وهو «البعث» ، وسورة البقرة هى أكبر سور القرآن فى عدد آياتها وبالسورة الكثير من المعانى العظيمة التى لم تتوفر فى سورة أخرى .

حال رجل غنى

كان فى بنى إسرائيل رجل كُبار يبلغ من السن مايزيد عن المائة . . وكان ذا ثراء مالى ويحبُ المال حبًا جمًا ويجمـعه بشتى الوسائل وكلما إزدادت ثروته فرح بها وطمع أكـثر . . ولكنه كان مـشهوراً بالبخل حـتى على نفسه فـيراه الناس في ثيـاب قديمة قـذرة لاتليق بما أنعم الله عليـه من مال . . وكـان هذا الرجل يرفض الزواج ويعيش وحـده عيشـه البخلاء . . وكـان له أخ فقيـر جداً معـه عدد من الأولاد مـات هذا الأخ وترك أولاده فكانوا يسـألون عـمـهم الـغنى أن يعطيـهم فيرفض . . فصبروا حتى يموت ثم يرثوه . . ولكن الرجل طال به العمر .

وكان من أبناء أخيه شاب أشتهر بسـوء الخلق وفساد القلب فاستعجل موت عمه . . ليرثه ولكن ماذا يصنع؟

● غدر وخيانة

دبر هذا الشاب جريمته سراً وتسلل ليلاً إلى بيت عمه ودخل عليه وهو نائم وهوى على رأسه بالفأس فقتله .. ثم فكر ماذا يصنع فى جثته؟ فحملها وخرج بها من المنزل والقاها فى الشارع أمام بيت رجل صالح لم يعرف عنه الفساد الخلقى أو الفعل الإجرامى .

أصبح الناس وقد رأوا هذا القتيل وتعجب الكل ياترى من الذى قتله؟ .. إن صاحب هذا المنزل رجل صالح .. وفجأة حضر ابن أخيه المجرم .. يبكى على عمه ويعلن أنه لابد أن ينتقم من الذى قتل عمه . وكثرت الأقاويل وتشكك الناس ، واتهم بعضهم بعضًا .. وأخيراً اهتدوا أن يذهبوا إلى موسى -عليه السلام- ليحكم بينهم .

● موسى والبقرة

وطال الجدل وكثر الاتهام ،، الأخ الجانى الحقيقى - يقول : لابد من القصاص ممن قتل عمى العزيز .. واختلف الناس في الطريقة التى يعرفون بها الجانى .. وأخيراً اهتدوا أن يتوجهوا إلى نبى الله «موسى»- عليه السلام- ويحكموه فى هذا الوضع .. فلما ذهبوا إلى موسى -عليه السلام- وقصوا عليه

ما رآوه وعجـزهم عن معرفة القاتل .. قـال لهم : انتظروا حتى أسأل ربى ..
وفى اليوم التالى قال لهم : **﴿إن الله يأمركم أن تذبحـوا بقرة﴾** فتعجب الناس من
هذا .. نحن نسألك عن الـقاتل وأنت تقول : أن الله يأمـرنا أن نذبح بقرة ..
يامـوسى : هل تهـزأ بنا أم تسـخـر منا؟! .. قـال : **﴿أعـوذ بالله أن أكـون من
الجاهلين﴾** .

● الجدل والتردد

أبنائى الأعزاء - معروف عن بنى إسرائيل أنهم قوم أهل جدال وشك وتردد
.. وقد أتعـبوا موسى فى كثير من الأمور.. فلمـا قال لهم **﴿إن الله يأمـركم أن
تذبحوا بقرة﴾** فلو أنهم ذبحوها ولم يسـألوا عن صفاتها لكفـتهم أى بقرة وبذلك
يكونوا قد نفذوا أمر الله.. ولكن كما هوالمـعتاد من بنى إسرائيل سألوا موسى :
﴿أدع لنا ربك يبين لنا ماهى إن البقرة تشابه علينا﴾ قال لهم موسى -عليه السلام-:
﴿قال أنه يقـول إنها بقرة لاذلول تثيـر الأرض ولا تسقى الحرث مسلمـة لاشية فيـها﴾
وكان هذا ثالث أو رابع تسـاؤل حول البقرة التى ذبحـوها فيما بعـد على مضض
منهم فقـد سألوا سابـقا عن عمـرها وعن لونها ، ولكنهم بعـد جدالهم هذا مع
موسى .. ذهبوا ليبحثوا عن بقرة بهذه المواصفات .. وبعد بحث وعناء وجدوها

عند شاب فقير تركها له والده بعد وفاته وهو لايملك غيرها . . فلما طلبوها منه رفض بشدة فعرضوا عليه مبلغاً من المال ثمنًا لها فرفض فزادوه وظلوا يزيدونه ويلحون عليه حتى قبل ، وأخذوا البقرة وتوجهوا الى موسى -عليه السلام - ياموسى هذه هى البقرة وها نحن نذبحها الآن .

●حكمة وموعظة

وذبحوا البقرة - فقال لهم موسى : ﴿ **أضربوه ببعضها**﴾ يعنى احضروا الشيخ المقتول أمامكم ثم اضربوا جسده ببعض لحم البقرة . . وبدأوا فعلا يضربونه ببعض لحم البقرة وفجأة وقف الشيخ القتيل وفرّ الناس خوفاً ورعبًا ، فأمرهم موسى -عليه السلام- بالثبات ، وإذ بالقتيل الذى أصبح حياً يشير الى ابن أخيه ويقول : **هذا قاتلى** .

عرف الآن بنوا إسرائيل الحكمة الإلهية من ذبح البقرة - التى أصبحت درساً فى قدرة الله على أحياء الموتى ﴿**كذلك يحيى الله الموتى**﴾

هؤلاء - يا أبنائى الأعزاء - بنوا إسرائيل الذين أتعبوا أنفسهم وأتبعوا نبى الله موسى -عليه السلام -، وقد وردت قصة البقرة فى سورة البقرة - يقول الحق سبحانه : ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا**

هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)﴾ [سورة البقرة ٦٧ : ٧٣] .

● (جنتان ورجلان)

أبنائى الأعزاء - المال ثروة ونعمة والله -عز وجل- يسألنا يوم القيامة عنها .. وقد ربط الله الرزق بالتقوى والاستغفار ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً ۝١٢ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ۝١٣﴾ [نوح : ١٠-١٣].

● جاران مختلفان

أبنائى - وكما هو حال الدنيا فيها الغنى والفقير والناس لا يقاسون عند الله بكثرة المال أو ضخامة الأبدان وإنما -يقول سبحانه وتعالى- ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

وكان «الحارث» رجلاً غنياً واسع الثراء عنده بستان فاخر المنظر ذاخر بالخضروات والفواكة من شتى الأنواع ، وكان عنده حراس وخدم وعبيد .. كان الحارث يسكن داراً ملكاً له « إنها كالقصر المشيد لأنها فخمة المبانى فاخرة الأثاث .. ، وكان بجواره دار لرجل اسمه «عبد الله» رجل بسيط الحال فقير المال كثير العيال ؛ .. ولكنه غنى النفس يعيش فى دار متواضعة الحال .. وكان «عبدالله» رجل مؤمن بالله ورسوله .. حبب الله إليه الإيمان وزين قلبه بالتقوى ؛

. . وكان أحب شيء إليه الجهاد فى سبيل الله؛ . . يليه فى الحب العمل الشريف فى حديقة متواضعة صغيرة ، ومع كل ذلك كان «عبد الله» رجل غنى النفس مستريح البال قوى الإيمان صالح العمل.

● المحاورة

ذات يوم كان « الحارث» ذاهبًا الى حديقته الغناء فى فخر من نفسه وزهوٍ فى ثيابه وغرور بماله، . . عند باب الحديقة التقى بجاره «عبد الله» الرجل المؤمن المتواضع، ودار بينهما حوار .

الحارث يفخر على «عبد الله» ، ويقول له : انظر يا عبد الله إلى جنتى، «أى حديقتى» ومافيها من زروعٍ وثمارٍ وخدمٍ وعبيد . . هل لديك مثل هذا؟ أو تقدر عليه؟

قال عبد الله : - فى تواضع ياهذا اتق الله ، فإن الذى رزقك يستطيع أن يرزقنى . . ضحك «الحارث» فى سخرية وقال له : ادعوه . . ولسوف أرى .

قال عبد الله :- ياحارث أنت جارى وإنى لأحب لك الخير كما أحبه لنفسى فإنى أدعوك إلى الإيمان بالله وطاعة رسول الله ﷺ ، فإن ذلك خير لك من الدنيا ومافيها.

يقول الحـارث : إذن أنت تريد لى أن أكفر بآلهة الآباء والاجـداد وتدعونى لأنفق أموالى حتى أصبح فقيراً مثلك .

قال عـبد الله : ياحـارث ليس المال هو الغنى فقـط إنما الغنى الحقـيقى أن ترضى بما قسم الله لك ، وأن تؤمن بالبعث وتؤمن بأن كل شىء خلقه الله وقدره تقديراً .

قـال الحـارث : أتظن يا عـبـد الله أن جنتى هذه سـوف تزول فى يوم من الأيام؟! .

قال عبد الله : ياحـارث إن العبد إذا رأى جنته ومافيهـا أو أى نعمة تفضل الله بها عليه من ثمار .

يقول : بسم الله مـا شاء الله ،. . لأنه سبحـانه هو الذى يُنبتها ويجـعلها ثماراًناضجة ونافعة.

قال الحـارث : يا عبـد اللهإن غنى الدنيا هو غنى الآخـرة وسوف أُرد كـما تقول إلى ربى يعطينى جنة أفضل من جنتك ، وحياة أسعد من حياتك، وأكن أنا الغنى وأنت الفقير .

● الدين النصيحة

ظل « عبد الله» يحذرالحارث من الكفر بالله، . . ويعظه ويذكره ؛ . . ولكن الحارث متغطرس يرفض أى نصح ويدعى لنفسه المقدرة على كل الأمور.

قال عبد الله للحارث : أرأيت لو أنك أصبحت فوجدت ثمارك هذه محطمة وشجرها اقتلعته الرياح وماؤها أصبح غوراً ، فماذا ستفعل؟ . . قال الحارث: يا عبد الله هذا لن يحدث ولن يستطيع أحد أن يفعل بحديقتى ما تقول:

قال عبد الله : يا حارث إنك بذلك تكفر بربك الذى خلقك من تراب .

قال الحارث : سوف أدعك يا عبد الله وما أنت فيه من تخاريف وانصرف لحديقتى الغناء وتنصرف أنت إلى حالك البائس .

قال عبد الله : لقد ذكرتك ونصحتك واستبرأت ذمتى منك أمام الله .

● نهاية الغرور

لم يمض - على هذا الحوار - سوى يوم واحد وذهب الحارث إلى حديقته صباحاً وقبل أن يصل اليها اشتم رائحة دخان وعطب «نتونه» فتعجب فلما دخل الحديقة وجدها حُطامًا وثمارها حُرقت وشجرها فلح ولم يبق منها شىء، . . فجلس يضرب كفا على كف ويقول : ﴿ ياليتنى لم أشرك بربى أحد﴾ . . وأقر

الحارث بأن الله هو المنتقم الجبار . . وأنه -سبحانه وتعالى- سريع الحساب .

وقد وردت هذه القصة فى القرآن الكريم يقول رب العالمين :

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)﴾

[سورة الكهف ٣٢: ٤٤].

● خاتمــــة

الحـمـد لله رب العــالمين - رب الأرض والســمـاوات والذى بفــضله تتم الأعمال الصـالحات . ونصلى ونسلم على المبعوث رحـمة للعالمين سيدنا مـحمد وعلى آله وصحابته أجمعين .

وبعد

فلقد جال بخاطرى أن أكتب لأبنائى الأعزاء بعض قصص القرآن الكريم ، وسألت الله التـوفيق وبعدها بعـدة أيام وفقنى الله وقـمت باختيـار بعض القصص التى رأيت أنهـا تقوم بدور تربوى فى حـياة أبنائنا - فـتقـوى فيهم الإيمـان وتقوم السلوك ، وتزيدهم خبرة وعلمًا .. وقـد راعيت أن يكون الحديث بأسلوب سلس مقبول - وأحمـد الله أن تم هذا العمل على خير وجه بتوفيقـه -سبحانه - وإننى لأشعر بالسعـادة تجاه هذا الجهد المتواضع الذى أسأل الله أن يتقبله خـالصًا لوجهه الكريم

هذا وبالله التوفيق

محمد الصايم

القاهرة - المعادى الجديدة

صقر قريش

فهرس الكتاب

تم بحمد الله

المكتبة التوفيقية

أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين